المجمل والمبين

في

القرآن الكريم

إعداد

الدكتور/ أحمد السيد علي الجبيلي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الأقصى للطباعة

مقدمة :

الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين وشرفه ببيان تنزيله الحكيم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين الذين نفوا عن هذا الدين كيد الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

أما بعد ، فمما لاشك فيه أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى . أنزله على عبده ورسوله ، سيدنا محمد (ﷺ) هدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وجعله نورا للناس أجمعين ، وخاتمة رسالاته إلى عباده ، وهو المهيمن على جميع ما أنزل الله من كتاب ، والمعجزة الكبرى للإسلام ونبي الإسلام والشافي لأدواء المؤمنين ، والوافي بجميع حاجات البشر وما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، وهو المحيط بأعظم علوم الأولين والآخرين ، جمع الله – سبحانه وتعالى – فيه أصول الدين ، ومعالم الشريعة وكرائم الأخلاق والأحكام والمواعظ والآداب، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم.

وبالجملة : فقد جعله الله – تعالى – مع وجازة لفظه ، دستورا جامعا ومرجعا شاملا لكل شيء ، لهذا وغيره. فقد تحدى الله تعالى به المنكرين، وطلب منهم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك كله ، فكان عجزهم هذا من أقوى الأدلة على الإعجاز ، وكان الإعجاز من أوضح الأدلة على صدق الرسول (ﷺ) ثم أخبر سبحانه وتعالى في صراحة ووضوح أنه لا يستطيع الخلق جميعا سواء كانوا مجتمعين أو منفردين أن يأتوا بمثل

هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وصدق الله في قـوله : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ .(١)

عرف المسلمون ذلك كله فأقبلوا على القرآن الكريم منذ باكورة العهد الأول حفظا ودراسة وتصنيفا ، وكثرت مؤلفاتهم في ذلك حتى امتلئت بها المكتبة الإسلامية في جميع الأعصار والأمصار، فمنهم من ألف في تفسيره ، ومنهم من ألف في إعرابه ، ومنهم من كتب في أحكامه ومنهم من خص بحثه ببيان المكي والمدني منه ، ومنهم من كتب في أسباب نزوله إلى غير ذلك ،

والبحث الذي نحن بصدده متصل اتصالا وثيقا بالقرآن الكريم وعلومه وهو المجمل والمبين في القرآن الكريم .

وهو جهد متواضع أرجو أن ينفعني الله به في الدنيا والآخرة وأن ينفع به طلاب العلم بوجه عام .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

١- الإسراء الآية (٨٨)

تمهيد:

هذا البحث من الأبحاث المهمة بالنسبة للمتخصصين في الدراسات الإسلامية بوجه عام ، والمتخصصين في التفسير وعلوم القرآن بوجه خاص ، وذلك لأن القرآن الكريم منه ما هو مجمل ومنه ما هو مبين- بفتح الياء وتشديدها – ومنه ما هو مبين – بكسر الياء المشددة – ومن المعلوم أن المجمل يجب أن يحمل على المبين ، كما أن المطلق يحمل على المقيد ، والعام على الخاص . لهذا فإننا في أمس الحاجة إلى معرفة مجمل القرآن ومبينه ، وسأبدأ بمشيئة الله ببيان تعريف المجمل ، وبيان أقسامه وأسبابه ، مع ذكر الأمثلة التي توضح ذلك بالتفصيل ، ثم أتحدث بعد ذلك عن المبيَّن والمبيِّن ، وبيان أقسامهما ، مبينا الفرق في ذلك بين ما كان مبينا بنفسه ، وما كان مبينا بغيره ، ثم يأتي الحديث بعد ذلك عن تبين المجمل ، وأوضح أن تبين المجمل قد يكون متصلا وقد يكون منفصلا. كل ذلك موضح بأدلة وأمثلة من القرآن الكريم، وذكر آراء العلماء. وبعد ذلك يأتي مبحث منفرد عن تبين السنة للقرآن، وقد يكون البيان في ذلك بالقول أو الفعل، ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث.

هذا ، وقد بذلت فيه جهدي على قدر طاقتي ، فإن كنت موفقا فمن الله سبحانه وتعالى الذي نستمد العون منه دائما ، وإن كان هناك تقصير فمن نفسي وحسبي أني اجتهدت ، وللمجتهد المخطئ أجر وللمصيب أجران .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

أحمد السيد على الجبيلي،

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الثلاثاء الثاني من شعبان ١٤٢٦هـ
الموافق للسادس من سبتمبر ٢٠٠٥م

المبحث الأول

تعريف المجمل وبيان أقسامه

تعريف المجمل في اللغة: مأخوذ من الجمع، ومنه يقال (أجمل الحساب) إذا جمعه ورفعه تفاصيله، وقيل هو المحصّل، ومنه يقال (جملت الشيء إذا حصلته) . هكذا ذكره صاحب المجمل في اللغة.(١)

وقال الزبيدي : أجمل الشيء : جمعه عن تفُرقة ، وأجمل الحساب والكلام رده إلى الجملة ثم فصله وبينه . (٢)

وقال صاحب المصباح : وأجملت الشيء إجمالا جمعته من غير تفصيل .(٣)

وقال الجرجاني : المجمل : ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المجمل سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الأقدام كالمشترك أو لغرابة اللفظ كالهلوع أو لانتقاله من معناه الظاهر إلى ما هو غير معلوم فترجع إلى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل كالصلاة والزكاة والربا، فإن الصلاة في اللغة الدعاء وذلك غير مراد ، وقد بينها النبي (ﷺ) بالفعل فنطلب المعنى الذي جعلت الصلاة لأجله صلاة أهو التواضع والخشوع أو الأركان المعلومة ، ثم

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للأمدي جـ ٣ ص٩.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (للزبيدي) (٢٦٤/٧). دار مكتبة الحياة . بيروت.
(٣) المصباح المنير للفيومي (١١٠/١). وانظر معجم مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس (٤٨١/١) تحقيق عبد السلام هارون . دار الفكر . بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

نتأمل أي نتعدى إلى صـــلاة الجنازة فيمن حلـف لا يصلي ويصلي أم لا ؟ [1]

وقال الراغب في مفرداته : وقد جاملت فلانا وأجملت في كذا، وجمالك أي أجمل واعتبر منه معنى الكثرة فقيل لكل جماعة غير منفصلة جملة ، ومنه قيل للحساب الذي لم يفصل والكلام الذي لم يبين تفصيله مجمل وقد أجملت في الحساب وأجملت في الكلام . قال تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) [2] . أي مجتمعا لا كما أنزل نجوما مفترقة ، وقول الفقهاء المجمل ما يحتاج إلى بيان فليس بحد له ولا تفسير وإنما هو ذكر أحد أحوال بعض الناس معه ، والشيء يجب أن تبين صفته في نفسه التي بها يتميز ، وحقيقة المجمل هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة .[3]

ومما يتقدم يتبين لنا أن المجمل في اللغة : هو المجموع على سبيل الإجمال ، أي أنه جمع بغير تفصيل ولا توضيح .

وأما تعريفه في الاصطلاح :

فقد عرف بتعاريف كثيرة، وأرجح ما قيل في تعريفه : هو ما لم تتضح دلالته [4]. وإنما اكتفيت بهذا التعريف لأنه جامع مانع ، ولم توجه إليه الاعتراضات التي وجهت إلى التعاريف الأخرى . وقال

١- التعريفات للجرجاني ص ٢٥٧ .
٢- سورة الفرقان آية ٣٢
٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٩٧/١، ٩٨ دار المعرفة.
٤- الإتقان في علوم القرآن . للسيوطي (٢٤/٢) ، وأصول الفقه (٣/٣) د.محمد أبو النور زهير .

الآمدي: في تعريفه (والحق في ذلك أن يقال: المجمل هو ما له دلالة على أحد أمرين لا مزيّه لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه)[1].

وعرفه الشيخ عبد الحميد محمد على قدس: بقوله (المجل ما احتاج وافتقر إلى البيان من قرينة حالية أو دليل منفصل لعدم إيضاح دلالته)[2].وفي رأيي أن هذين التعريفين لا يختلفان مع التعريف الذي ذكرته أولا وبينت أنه أرجح التعاريف.

شرح التعريف: -

فقولنا (ما) : جنس في التعريف يشمل القول بقسميه ، المهمل كقولنا (ديز) مقلوب (زيد) ، والمستعمل : كالمشترك والنص والظاهر . ويشمل كذلك الفعل كقيامه ﷺ من الركعة الثانية من غير تشهد فيحتمل أن يكون القيام عن عمد فيكون دالاً على جواز الترك ، ويحتمل – أيضا – أن يكون القيام عن سهو فلا يكون فيه دلالة على الجواز .وقولنا (له دلالة) قيد أول مخرج للمهمل فإنه لا دلالة له على شيء، كقولنا (ديز) مقلوب (زيد) فهذا اللفظ لا يوصف بالإجمال ولا بالبيان.

وقولنا (غير واضحة) هذا قيد ثان مخرج للمبين فإن له دلالة واضحة.

قال الباجي: معنى المجمل أن يكون اللفظ يتناول جملة المعنى، دون تفصيله وورد على صفة تقع تحتها صفات وأجناس متغايرة، فلا يمكن امتثال الأمر به إلا بعد بيانه، لأن المأمور لو أراد امتثال الأمر

١- الإحكام في أصول الأحكام . للآمدي جـ٣ ص١١
٢- أنظر لطائف الإشارات شرح العمريطي ص ٣٥

به لم يمكنه القصد إلى جنس مخصوص، لأن اللفظ المجمل لا يقتضيه ، ولا ينبئ عنه بمجرده ، فلما كان هذا حكمه افتقر إلى معنى يبينه ويوضح عن جنسه وقدره وصفاته وغير ذلك من أحكامه [1]

أقسام المجمل: -

ينقسم المجمل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مجمل بين معانيه الحقيقية التي وضع اللفظ لها ، ومثاله كلمة (قروء) الواردة في قوله عز شأنه: **(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاث قروء)**[2] وكلمة قروء جمع قرء – بفتح القاف – ويجمع كذلك على (أقرؤ) ، وأما قرء – بضم القاف – فجمعه (أقــراء) [3].

ولفظ القرء سواء كان بفتح القاف أو بضمها وضع للحيض بوضع وللطهر بوضع آخر لاشتراكه بينهما ولم تقم قرينة تبين المعنى المراد . ولهذا حمله الشافعي على معنى الطهر وحمله أبو حنيفة على معنى الحيض وكل منهما موافق لجمع من الصحابة والتابعين .

القسم الثاني:

مجمل بين أفراد الحقيقة الواحدة وذلك لأن المراد فرد معين من هذه الأفراد ولم يقم دليل على تعينه.

١- الحدود في الأصول ص٤٥، وانظر كتاب عيون الأصول د.أسامة محمد عبد العظيم حمزة ط.دار الفتح.
٢- سورة البقرة الآية (٢٨٨)
٣- انظر المصباح المنير جـ٢ص ٥٠١

مثال ذلك كلمة (بقرة) في قوله تعالـــى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[1]. فإن لفظ بقرة وضع لحقيقة معينه ذات أفراد، والدليل على ذلك أن بني إسرائيل سألوا عن ماهية البقرة – أي حقيقتها– وكذلك عن لونها، فأقرهم الله على أسئلتهم وأجابهم عنها، فكان هذا مشعرا بالتعيين.

القسم الثالث: مجمل بين مجازاته ، وذلك إذا كانت الحقيقة غير مراده وتكافأت المجازات، بمعنى أنه لم يتم ترجيح واحد منها على الآخر بمرجح .ويمثل لذلك بقول القائل : رأيت بحرا جالسا بين الناس فمن المعلوم أن لفظ بحر له حقيقة معروفة ولكن هذه الحقيقة ليست مرادة بقرينة جالسا بين الناس . وهذا اللفظ له مجازات وهي الكريم والعالم ولا رجحان لأحدهما على الآخر، ولهذا فإن اللفظ مجمل بين تلك المجازات ولا يحمل واحد منها دفعا للتحكم.

ومثاله – أيضا – قوله (ﷺ) – (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)[2] (ولا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل)[3]. وهذا على رأي أبي عبد الله البصري. وسبب ذلك أن حقيقة هذا اللفظ تفيد نفي الفعل عند عدم وجود الفاتحة والنية، إلا أن هذه الحقيقة غير مراده ، بدليل المشاهدة

١– سورة البقرة من الآية :(٦٧)

٢- أخرجه الشيخان من حديث عبادة بن الصامت بلفظ (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) صحيح البخاري ك/الصلاة باب : وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (١٩٢/١) وصحيح مسلم ك/الصلاة باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة(١٦٧/١).

٣- أخرجه مالك في الموطأ ك/الصيام باب:من أجمع الصيام قبل الفجر(٢٨٨/١) والترمذي في السنن ك/الصوم باب: ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل (٢٦٣/٣) والنسائي ك/الصيام باب: ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة (١٩٦/٤)

فكثيرا ما تشاهد وقوع الفعل في الخارج بدون الفاتحة أو بدون النية. فقد يصلي المصلي مثلا من غير أن يقرأ بفاتحة الكتاب إذا كان مأموما، وقد يصوم الصائم ولم يبيت النية من الليل ، ولهذا فنحن لو حملنا هذا اللفظ وأمثاله على حقيقته لزم الكذب في خبر الرسول(ﷺ) ومعلوم أن الكذب في خبر الرسول (ﷺ) محال. وهذا اللفظ- أعني – لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ولا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل، له مجازات – هي نفي الصحة ونفي الكمال، والمجازان متساويان أي أنه لا رجحان لأحدهما على الآخر، ولأجل ذلك كان اللفظ مجملا بين تلك المجازات. ومما تقدم يتبين أن القسم الثالث إنما يأتي فيه الإجمال إذا كانت الحقيقة غير مرادة وكانت المجازات متساوية، ولم يترجح واحد منها على الآخر.

هذا وقد ذكرت القسم الثالث من هذه الأقسام مع أنه لم يكن له مثال في القرآن وموضع بحثنا هو المجمل والمبين في القرآن ، لتعم الفائدة ولأن له صلة وثيقة بالقسمين السابقين ومن أراد المزيد فليطلب ذلك من مظانه.

المبحث الثاني

أسباب الإجمال

للإجمال أسباب كثيرة ذكرها العلماء نبينها بالتفصيل فيما يلي :

السبب الأول: الاشتراك اللفظي.

والاشتراك اللفظي : هو وضع اللفظ لحقائق متعددة بأوضاع مختلفة مع عدم وجود قرينه تعين المراد. والمشترك اللفظي نوعان:-

النوع الأول : في المفرد ويكون في الاسم والفعل والحرف .

النوع الثاني: يكون في المركب.

أما الاشتراك في المفرد فسبب الإجمال فيه هو صلاحية اللفظ المفرد لأكثر من معنى. مثال الاشتراك في الاسم: لفظ (القرء) كما تقدمت الإشارة إليه، وهو في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1] فإن كلمة (قروء) جمع قرء، والقرء في كلام العرب يطلق على الطهر وعلى الحيض. لأنه من الأضداد . واصل القرء الاجتماع. وسمي الحيض قرءاً لاجتماع الدم في الرحم، وسمي القرء طهرا لاجتماع الدم في البدن. وقد يطلق القرء – أيضا – على الوقت لمجئ الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم ، يقال أقرأت حاجة فلان عندي أي جاء وقت قضائها ، واقرأ النجم إذا جاء وقت أفوله ، وأقرأت الريح إذا هبت لوقتها . هذا ولما كان مجئ الحيض في وقت معلوم سمت العرب وقت مجيئه قرءا ، ومن مجيء القرء بمعنى الحيض قوله (ﷺ) لفاطمة بنت أبي حبيش

١- سورة البقرة الآية ٢٨٨

(دعي الصلاة أيام أقرائك)(١) ومن مجيئه بمعنى الطهر قول الأعشى :

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مجدا وفي الذكر رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقد اختلف أهل العلم في المراد من القروء في الآية، فذهب مالك والشافعي وابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء والسبعة وربيعة وأحمد إلى أنها الأطهار، وذهب علي وعمر، وابن مسعود وأبو حنيفة والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة إلى انها الحيض. وتظهر فائدة الخلاف أنه إذا طلقها في طهر تنتهي عدتها عند أصحاب الرأي الأول بالطعن في حيضة ثالثة لأن الطهر الذي طلقت فيه يحتسب لها . وأما على الرأي الثاني فلا تنتهي عدة المطلقة إلا بانتهاء الحيضة الثالثة.

وقد روى عن عمر وعلي ، أنهما قالا: يجوز لزوجها أن يراجعها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة. هذا وقد احتج أصحاب الرأي الأول لترجيح مذهبهم بأدلة منها:

١-أنه سبحانه وتعالى اثبت التاء في العدد (ثلاثة) في قوله تعالى ﴿ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ هذا يدل على أن المعدود مذكر، ولايكون المعدود مذكر إلا إذا كان مرادا به الطهر . أما إذا كان المراد الحيضة كان مؤنثا.

١- مسند أحمد ٦/٤٢ رقم ٢٤١٩١، ٦/٢٦٢ رقم ٢٦٢٩٨وسنن الدارقطني ١/ ٢١٢ رقم ٣٦ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد باب ما جاء في الحيض والمستحاضة ١/٢٨٠ وقال هو في الصحيح خلا قوله (وإن قطر الدم على الحصير)

٢-ومنها قوله تعالى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[١] ومعناه طلقوهن في وقت عدتهن. ومن المعلوم أن الطلاق في وقت الحيض منهي عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض. ويشهد لذلك – أيضا– قوله تعالى بعد ذلك ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ يريد ما تعتد به المطلقة وهو الطهر الذي تطلق فيه ، ويشهد لهذا – أيضا – قوله (ﷺ) لعمر(مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء)[٢] أخرجه مسلم وغيره .

قال القرطبي – رحمه الله – بعد ذكره لهذا الحديث

(وهو نص في أن زمن الطهر هو الذي يسمى عدة وهو الذي تطلق فيه النساء. ولا خلاف أن من طلق في حالة الحيض لم تعتد بذلك الحيض. ومن طلق في حال الطهر فإنها تعتد عند الجمهور بذلك الطهر، فكان ذلك أولى)

وأما أصحاب الرأي الثاني فقد احتجوا بأدلة من هذه الأدلة قولهم:

أننا أجمعنا على أن الاستبراء في شراء الجواري يكون بالحيض، فكذلك العدة تكون بالحيض لأن الغرض منها واحد.

ومنها أن العدة شرعت لبراءة الرحم ، والذي يدل على براءة الرحم إنما هو الحيض لا الطهر ومنها قوله (ﷺ) (طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان)[٣] ومن المعلوم أن عدة الأمة نصف عدة

١- سورة الطلاق الآية ١

٢- مسلم في صحيحة جـ٢ ص ١٠٩٣ رقم ١٤٧١ ك/ الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها. والبخاري ك/ الطلاق ٢٠١١/٥ رقم ٤٩٥٣ بلفظ (ثم ليمسكها)

٣- أخرجه أبو داود ك/الطلاق باب / في سنة طلاق العبد حديث رقم(٢١٨٩)

الحرة فإذا اعتبرت عدة الأمة بالحيض كانت عدة الحرة كذلك. ومن الواضح أن المسألة محتملة.

ولكن الراجح من وجهة نظري هو الرأي الأول لما تقدم بيانه .

والذي يعنينا أن لفظ قروء في الآية جاء مجملا لأنه من الألفاظ المشتركة وأما قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فهو خبر في معنى الأمر لئلا يلزم الكذب في خبره تعالى إذا لم تتربص بعض المطلقات . هذا على قول البعض.

والصواب أن يقال :إن الآية الكريمة إخبار عن حكم الشرع، فإذا وجدت امرأة لم تتربص كما أمرها الله لم يكن ذلك حكما شرعيا. ولم يلزم منه كذب ما أخبر الله تعالى به. ومن أمثلة الاشتراك في الاسم – أيضا – لفظ الدين في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1] في سورة الفاتحة. فإن لفظ (الدين) يطلق على الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج ، وقتادة وغيرهم وري عن النبي (ﷺ) ويدل عليه قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾[2] أي حسابهم. وقوله ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3] وقوله ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4] وقال ﴿ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾[5] أي مجزيون محاسبون.

وقال لبيد:

حصادك يوما ما زرعت وإنما ... يدان الفتى يوما كما هو دائن

١- سورة الفاتحة الآية ٤
٢- سورة النور الآية ٢٥
٣- سورة غافر الآية ١٧
٤- سورة الجاثية الآية ٢٨
٥- سورة الصافات الآية ٥٣

وحكي أهل اللغة: دنته بفعله دينا (بفتح الدال) ودينا (بكسرها) جزيته، ومنه الديان في صفه الرب تعالى أي المجازي ، وفي الحديث (الكيس من دان نفسه)(١) أي حاسب.

وقيل الدين – أيضا – بمعنى القضاء. وهو مروي عن ابن عباس . ومعاني هذه الثلاثة متقاربة، والدين أيضا – الطاعة. وعليه فإن لفظ (الدين) لفظ مشترك.

قال ثعلب: دان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى، ودان إذا عز ودان إذا ذل، ودان إذا قهر ، فهو من الأضداد. ويطلق الدين على العادة والشأن، والدين – أيضا – سيرة الملك ، والدين – أيضا – الداء .أ.هـ بتصرف.

والدين أيضا (الملة) كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(٢) وقوله ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(٣)، والدين (الحال). قال النضر بن شميل سألت أعرابيا عن شيء فقال: لو لقيني على دين غير هذا لاخترتك.(٤)

ومما تقدم يتبين لنا بوضوح أن لفظ الدين الوارد في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لفظ مشترك لأن له أكثر من معنى في القرآن الكريم ،

١- الترمذي في سننه ٦٣٨/٤ رقم ٢٤٥٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٦٩/٣ رقم ٦٣٠٣ وابن ماجة في سننه ١٤٢٣/٢ رقم ٤٢٦٠ والمستدرك على الصحيحين ١٢٥/١ رقم ١٩١ والمستدرك على الصحيحين ٢٨٠/٤ رقم ٧٦٣٩.

٢- سورة آل عمران الآية ١٩

٣- سورة المائدة الآية ٣

٤- انظر القرطبي جـ ١ ص ١٤٥ ط بيروت – والبحر المحيط – أيضا لأبي حيان جـ ١ ص ٢١.

وفي لغة العرب. ولهذا فقد جاء مجملا في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ والمراد بيوم الدين هو يوم الجزاء من الله سبحانه وتعالى لعباده لأنه جاء مبينا في موضع آخر. وهو قوله تعالى ﴿مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(١) .

وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله عند الحديث عن أنواع المبين.

ومن أمثلة الاشتراك في الاسم – أيضا – لفظ الصريم في قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾(٢)لأنه يحتمل أن يكون المعنى كالنهار مبيضة لا شيء فيها، ويحتمل – أيضا – كالليل مظلمة لا شيء فيها . ولهذا قيل في معناها (فأصبحت كالصريم) كالبستان الذي صرمت ثماره (أي قطعت) بحيث لم يبق فيها شيء ، ففعيل بمعنى مفعول. وقال ابن عباس: كالرماد الاسود. وهو بهذا المعنى لغة خزيمة، وعنه أيضا– الصريم رملة باليمن معروفة لا تنبت شيئا.

وقال مؤرج: كالرملة انصرمت من معظم الرمل وهي لا تنبت شيئا ينفع . وقال منذر والفراء وجماعة: الصريم الليل والمراد أصبحت محترقة تشبه الليل في السواد. وقال الثوري: كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحصود.

وقال بعضهم : يسمى كل من الليل والنهار صريما لانصرام كل عن صاحبه وانقطاعه عنه.أ.هـ.(٣)

١– سورة الانفطار الآية ١٧: ١٩
٢– سورة القلم الآية ٢٠
٣– روح المعاني جـ ٢٩ ص ٣٤ للعلامة الألوسي ط. دار الكتب بيروت

ومن أمثلة الاشتراك في الاسم – أيضا – لفظ (أمة) لأن له أكثر من معنى، فقد يكون بمعنى الجماعة كما في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾(١) أي وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم وقد يأتي لفظ أمة بمعنى الرجل الجامع لخصال الخير المقتدى به، كما في قوله تعالى﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾(٢). قال ابن الأعرابي: يقال للرجل العالم أمة والأمة الرجل الجامع للخير . وقال الواحدي: قال أكثر أهل التفسير: أي معلما للخير، وعلى هذا فمعنى كون إبراهيم كان أمة أنه كان معلما للخير أو جامعا لخصال الخير أو عالما لما علمه الله من الشرائع . وقيل أمة بمعنى مأموم أي: يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير كما قال سبحانه : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٣).أ.هـ.(٤)

ويأتي لفظ أمة بمعنى الدين كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾(٥) والمراد بالأمة هنا الدين والطريقة التي تؤم أي كالرحلة للرجل العظيم الذي يقصد في المهمات يقال: فلان لا أمة له أي لا دين ولا نحلة، وقال الشاعر وهل يستوي ذو أمة وكفور، وقال قيس ابن الحطيم:

كنا على أمة آبائنا ... ويقتدي بالأول الآخر

١- سورة القصص الآية ٢٣
٢- سورة النحل الآية ١٢٠
٣- سورة البقرة الآية ١٢٤
٤- انظر فتح القدير جـ٣ ص ٢٤٢ ط بيروت.
٥- سورة الزخرف الآية ٢٢

وقال الجبائي: الأمة الجماعة والمراد وجدنا آباءنا متوافقين على ذلك ، والجمهور على الأول وعليه المعول .أ.هـ(١) ويأتي لفظ أمة كذلك بمعنى الزمان كما في قوله ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾(٢) ومعنى قوله ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي تذكر الساقي يوسف عليه السلام وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا (بعد أمه) أي طائفة من الزمان ومدة طويلة. ومنه ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾(٣) أي إلى وقت. ومما تقدم يتبين بوضوح أن لفظ أمة من الألفاظ المشتركة التي لها معان كثيرة في القرآن الكريم، وإنما يستعان على فهم المراد بدلالة السياق، والله أعلم.

قال الراغب في مفرداته (والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا ، وجمعها أمم.وقوله تعالى﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾(٤) أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع فهي من بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسّرفة ومدخرة كالنمل ومعتمده على قوت وقته كالعصفور والحمام إلى ذلك من الطبائع التي تخصص بها كل نوع ، وقوله تعالى﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(٥) أي صنفا واحدا وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر. وقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(٦) أي في الإيمان. وقوله﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾(٧) أي جماعة يتخيرون العلم

١- روح المعاني جـ٢٥ ص ٧٣
٢- سورة يوسف الآية ٤٥
٣- سورة هود الآية ٨
٤- سورة الأنعام الآية ٣٨
٥- سورة البقرة الآية ٢١٣
٦- سورة هود الآية ١١٨
٧- سورة آل عمران الآية ١٠٤

والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم، وقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾(١) أي على دين مجتمع، قال: وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع. وقوله تعالى ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (٢) أي حين ، وقرئ بعد أمَهٍ أي بعد نسيان، وحقيقة ذلك بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين. وقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ﴾(٣) أي قائما مقام جماعة في عبادة الله نحو قولهم فلان في نفسه قبيلة. وري أنه يحشر زيد بن عمر ابن نفيل أمة وحده وقوله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾(٤) أي جماعة ، وجعلها الزجاج ههنا للاستقامة ، وقال تقديره ذو طريقة واحدة فترك الإضمار أ.هـ(٥) . وما ذكرته نقلا عن الراغب يؤيد ما تقدم والله المستعان .

وهذه الأمثلة التي ذكر ناها أنفا كانت عن الاشتراك في الاسم.

وأما الاشتراك في الفعل فيمثل له بما يأتي:

١- لفظ (عسعس) كما في قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾(٦) يحتمل أن يكون بمعنى أظلم، ويحتمل أن يكون بمعنى ولي وأدبر، ويحتمل كذلك أن يكون بمعنى أقبل، لأن الفعل عسعس من الأضداد عند أهل اللغة.

١- سورة الزخرف الآية ٢٢
٢- سورة يوسف الآية ٤٥
٣- سورة النحل الآية ١٢٠
٤- سورة آل عمران الآية ١١٣
٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٣
٦- سورة التكوير الآية ١٧

وقال صاحب المصباح [و(عسعس) الليل أقبل و(عسعس) أدبر فهو من الأضداد] أ.هـ.(١) وعدة الراغب الاصفهاني في مفرداته من قبيل المشترك المعنوي.

وقال الألوسي – رحمه الله – (والليل إذا عسعس) أي أدبر ظلامه أو أقبل وكلاهما مأثوران عن ابن عباس وغيره وهو من الأضداد عند المبرد. وقال الراغب العسعسة والعساس رقة الظلام ، وذلك في طرفي الليل فهو من المشترك المعنوي عنده وليس من الأضداد. وفسر (عسعس) بأقبل وأدبر معا. وقال ذلك في مبدأ الليل ومنتهاه. وقال الفراء: أجمع المفسرون على أن معنى (عسعس) أدبر. وعليه العجاج يصف الخمر أو المغازة:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل:هي لغة قريش خاصة، وقيل كونه بمعنى أقبل ظلامه أوفق بقوله تعالى(**والصبح إذا تنفس**) فإنه أول النهار فيناسب أول الليل، وقبل كونه بمعنى أدبر أنسب بهذا لما بين إدبار الليل، وقبل كونه بمعنى أدبر أنسب بهذا لما بين إدبار الليل وتنفس الصبح من الملاصقة فيكون بينهما مناسبة الجوار.أ.هـ(٢)

٢- ومن أمثلة الاشتراك في الفعل الفعل (يضار) في قوله تعالى ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾(٣) وذلك لان أصل الفعل قبل فك الإدغام له احتمالان:

١- المصباح المنير ٤٠٩/١

٢- روح المعاني المجلد ١٥ جـ٢٩ ،٣٠ ص ٢٦٢

٣- سورة البقرة الآية ٢٣٣

- **الاحتمال الأول** : لا تُضارِرْ (بالبناء للفاعل) وعلى هذا تكون المرأة هي الفاعلة للضرار، والمفعول محذوف والمراد به الوالد. وتقديره :لا تضارر والدة بولدها أباه، وتكون الباء لسببية، وذلك بأمور:

١- أن تطلب أكثر من أجر مثلها.

٢- أن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الكسوة والرزق.

ويحتمل أن يكون المعنى: لا تضارر والدة ولدها وتكون الباء من صلته أي لا تضره، ومعنى تكون الباء من صلته، يعني متعلقة بتضار ويكون ضار بمعنى اضر فاعل بمعنى أفعل نحو باعدتة وأبعدته، وضاعفتها وأضعفته. كما بين ذلك أبو حيان في البحر والمضرة من الوالدة لولدها تكون بأمور وهي:

١- أن تأبى ان ترضعه إضراراً بأبيه وهو مروي عن مجاهد.

٢- أن تفرط في حفظ الولد والقيام بما يحتاج إليه .

٣- أن تلقي الولد مضارة لوالده. وهو مروي عن سعيد بن جبير

- **الاحتمال الثاني:** لا تضارَّ (بالبناء للمفعول) وتكون المرأة هي المفعول به الضرار. وتقديره: لا تضار من زوجها بسبب ولدها.

وذلك بأمور:

١- أن يمنعها من الإرضاع مع رغبتها فيه ليحزنها بذلك.

٢- أن ينتزع منها ولدها بلا سبب .

٣- أن يقصر في شيء أوجبه الله عليه لها.

٤- أن ينتزع منها ولدها إذا رفضت أن ترضعه.

والواجب أن يؤمر الزوج بإحضار من ترضعه في بيتها.

قال الجصاص(١): ولما كانت الآية محتملة للمضارة في نزع الولد منها واسترضاع غيرها وجب حمله على المعنيين فيكون الزوج ممنوعا من استرضاع غيرها إذا رضيت هي بأن ترضعه بأجرة مثلها وهي الرزق والكسوة بالمعروف وإن لم ترضع أجبر الزوج على إحضار المرضعة حتى ترضعه في بيتها حتى لا يكون مضارا لها بولدها.

وقال القرطبي – رحمه الله – قوله تعالى : ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ . المعنى : لا تأبى الام أن ترضعه إضرارا بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها ، ولا ان يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع ، وهذا قول جمهور المفسرين. وقرأ نافع وعاصم وحمزة الكسائي (تضار) بفتح الراء المشددة وموضعه جزم على النهي ، وأصله لا تضارر على الأصل، فأدغمت الراء الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، وهكذا يفعل في المضاعف إذا كان قبله فتح أو ألف، أي لا ينزع الولد منها إذا رضيت بالإرضاع وألفها الصبي.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير وأبان عن عاصم وجماعة (تُضَارّ) بالرفع عطفا على قوله (تكلف نفس) وهو خبر المراد به الأمر. وروى يونس عن الحسن قال يقول: لا تضار زوجها تقول: لا أرضعه، ولا يضارها فينزعه منها وهي تقول:أنا أرضعه، ويحتمل أن

١- أحكام القرآن للجصاص

يكون الأصل (تضارِر) بكسر الراء الأولى ، ورواها أبان عن عاصم ، وهي لغة أهل الحجاز .فـ (والدة) فاعله، ويحتمل أن يكون (تضارر) فـ (والدة) مفعول ما لم يسم فاعله. وروي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- أنه قرأ (تضارَّر) براءين الأولى مفتوحة. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع (تُضارْ) بإسكان الراء وتخفيفها. وكذلك (لا يضارْ كاتب) وهذا بعيد لأن المثلين إذا اجتمعا وهما أصليان لم يجز حذف أحدهما للتخفيف، فإما الإدغام وإما الإظهار.

وروي عنه الإسكان والتشديد. وروي عن ابن عباس والحسن (لا تضارر) بكسر الراء الأولى .أ.هـ(١) وما ذكرته نقلا عن الجصاص والقرطبي يؤيد ما تقدم ، والله المستعان.

وأما الاشتراك في الحرف: فمثاله الواو في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾(٢) .فإن الواو يحتمل أن تكون للعطف ، ويحتمل – أيضا- أن تكون للاستئناف فإن كانت الواو للاستئناف فيترتب على ذلك ان يكون الوقف التام على لفظ الجلالة في قوله (إلا الله) ويكون المعنى إذاً أن الله سبحانه استأثر بعلم المتشابه من الكتاب فلا يعلم تأويله أحد غيره. ثم أثنى الله سبحانه على الراسخين في العلم لأنهم يقولون أمنا به ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه. وهو قول ابن مسعود وأبي وابن عباس وعائشة والحسن وعروة وعمر بن عبد العزيز وأبي نهيك الأسدي ومالك بن أنس والكسائي والفراء والجبائي والأخفش وأبي عبيد، واختاره الخطابي والفخر الرازي وهو قول أكثر أهل العلم من المفسرين والقراء والنحويين

١- القرطبي ١٦٧/٣

٢- سورة آل عمران الآية ٧